

اعجاز قرآن

درس، مضمّم

استاد : حجت الاسلام و المسلمين صادق نيا

آموزشيار : سرکار خانم حيدرى

سخافاتٌ وخرافات

على أن التاريخ لا يخلو من أسماء قوم قد زعموا أنهم عارضوا القرآن ، أو رأوا أن باستطاعتهم أن يعارضوه : (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)^١ فمنهم من ادعى النبوة وجعل ما يلقيه من سفسفه ما زعمه مضاهياً للقرآن كي لا تكون صناعته بلا أداة (أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ)^٢ .
ومنهم من تعاطى معارضته صناعةً وظنَّ أنه قادر عليها ، لكنه سرعان ما تراجع إلى الوراثة إما صاغراً أو مستغفراً ربّه من سوء ما نواه .

والغريب أن ما يؤثر عن أناس في التاريخ حاولوا معارضة القرآن أنهم أتوا بكلام لا يشبه القرآن ولا يشبه كلام أنفسه م ، بل نزلوا إلى ضرب من السخف والتفاهة ، بادٍ عواره ، باقٍ عاره وشناره ، فمنهم عاقل استحيى أن يتم تجربته فحطّم قلمه ومزّق صحيفته ، ومنهم ماكر وجد الناس في زمنه أعقل من أن تُروّج فيهم سخافات ، فطوى صحفه وأخفاها عن أعين الناظرين إلى حين ، ولكن متى ذلك الحين ؟ إنه إلى أبد الآبدين ! أمّا الذين أتوا بسخائفهم فقد أبدوا بعوراتهم سفهاً

معارضان (٧)

وحقاً ، وإليكم نماذج من كلام النمطين ، دليلاً على صدق التحديّ إعجازاً مع الخلود (وَلَنْ تَفْعَلُوا ...)^٣ .

١. مُسَيْلَمَةُ الْكَذَّاب :

فمن أولئك مسيلمة بن حبيب ، تنبأ باليمامة في بني حنيفة على عهد رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، بعد أن وقد عليه وأسلم في ظاهر أمره ، كان يُصانع كلّ إنسان ويتألفه ، ولا يبالي أن يطلع أحد منه على قبيح ، إذا كان اتخذ النبوة مدعاةً إلى الملك ، حتّى عرض على رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) أن يُشركه في الأمر ... كان وقد بني حنيفة - في سنة تسع من الهجرة - قدّم على رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) وفيهم مُسَيْلَمَةُ ، وقد ستروه بالثياب ، ورسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) جالس بين أصحابه معه عسيب من سعف النخل ، في رأسه خوصات ، فلما انت هي إلى رسول (صَلَّى الله عليه وآله) وهم

^١ الأنفال : ٣١ .

^٢ الأنعام : ٩٣ .

^٣ البقرة : ٢٤ .

يسترونه بالثياب كلمه وسأله ، فقال له الرسول (صلى الله عليه وآله) : (لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه) ، وكان قد سأله تشريكه في أمر الرسالة .

ثم انصرفوا ، فلما انتهوا إلى الإمامة ارتدّ عدو الله ، وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إني أشركت في الأمر مع محمد ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن :

(لقد أنعم الله على الحُبلى ، أخرج منها نسمةً تسعى ، من بين صفاقٍ وحشى) .

ثم أحلّ لهم الخمر ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه نبي ، لكنه شريكه ، فأصفت مع بنو حنيفة على ذلك^٢ .

وكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أخريات سنة عشر : من مُسيلمة رسول الله إلى

محمد رسول الله ، سلام عليك ، أمّا بعد ، فإنني قد أشركت في الأمر معك وأنّ لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قریشاً قوم يعتدون .

وأرسله مع رجلين من قومه ، فقدمّا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقدما إليه الكتاب ، فلما قرأه قال لهما : (فما تقولان أنتما) ؟ قالا : نقول كما قال : فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : (أما والله لولا أنّ الرُّسل لا تُقتل لضربتُ أعناقكما) ، ثم كتب إلى مسيلمة : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أمّا بعد ، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)^٣ .

وكان قد اتخذ بالإمامة حرماً ، وكانت قري لُبنى أُسيد صارت في الحرم ، ومن ثم كانوا يغيرون على ثمار أهل الإمامة واتخذوا الحرم دغلاً ، فليل لمسيلمة في ذلك ، فقال : أنتظر الذي يأتي من السماء ثم أتاه فقال : والليل الأطعم ، والذئب الأدلم ، والجذع الأزلم ، ما انتهكت أُسيد من مُحرم .

ثم عادوا للغارة وللعدوى واستعدى عليهم ، فقال مسيلمة : أنتظر الذي يأتي ، فقال :

^١ الصفاق : الجلد الأسفل دون الجلد الأعلى الذي يُسلخ .

^٢ سيرة ابن هشام : ج ٤ ، ص ٢٢٣ .

^٣ سيرة ابن هشام : ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

والليل الدامس ، والذئب الهامس ، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس .

فقالوا له : أمّا النخيل مُرطبة فقد جدّوها ، وأمّا الجدران يابسة فقد هدموها ، فقال : اذهبوا وارجعوا فلا حقّ لكم .

وكان فيم يقرأ لهم : إنّ بنى تميم قوم طهر لقاح ، لا مكروه عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيينا يا حسان ، نمنعهم من كلّ إنسان ، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن .

وكان يقول : والشاء وألوانها ، وأعجبها السود وألوانها ، والشاة السوداء واللبن الأبيض ، إنّهُ لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فما لكم لا تمجعون .

وكان يقول : الفيل ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم

طويل ...

وكان يقول : يا ضفدع ابنة ضفدع ، نقي ما تنقي ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ولا الماء تكذرين .

وكان يقول : والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والشاردات ثرداً ،

واللاقمات لقماً ، إهالة وسمناً ، لقد فضلتكم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتزّ فأووه ، والهاغي فناوؤه .

وجاءه طلحة النمرى فقال له : أنت مُسيلمة ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ يأتيك ؟ قال رحمن ، قال : أفي نور أم في ظلمة ؟ قال : في

ظلمة ، فقال طلحة ، أشهد أنّك كذاب وأنّ محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر ، فثبت معه حتّى قُتل

يوم عقربله فيمن قُتل معه ^١ .

وكان من المسلمين رجل يقال له نهار الرّجال ^٢ قد هاجر إلى النّبي (صلّى الله عليه وآله) وقرأ القرآن وفقّه في الدّين ، فبعثه

معلماً لأهل اليمامة وليشغب على مُسيلمة وليشدّ من أمر المسلمين ، لكنه أصبح بعد وفاته (صلّى الله عليه وآله) أعظم فتنة

^١ تاريخ الطبري - حوادث سنة ١١ - ج ٢ ص ٥٠٤ - ٥٠٨ .

^٢ عن أبي هريرة قال : جلست مع النّبي (صلّى الله عليه وآله) في رهط معنا الرّجال بن عنفوة ، فقال : إنّ فيكم رجلاً ضرره في النار أعظم من أح د ، فهلك القوم وبقيت أنا والرّجال ، فكانت متخوفاً لها حتّى خرج الرّجال مع مسيلمة فشهد له بالنبوة ، وقُتل في حرب خالد بن الوليد لمسيلمة وأهل اليمامة ، والرّجال في الرواية المشهورة بالجيم ، وفي بعضها بالحاء المهملة .

على بنى حنيفة من مسيلمة ؛ إذ شهد أنه سمع محمداً (صلى الله عليه وآله) يقول : إن مسيلمة قد أشرك معه ! فصدّقوه واستجابوا له .

فكان الرجال لا يقول شيئاً إلاّ تابعه مسيلمة ، وكان ينتهى إلى أمره ويستعين به على تعرف سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) ومعجزاته فى العرب ، ليحاكيه ويتشبه به ، لكنّه ما عارضه فى شيء قطّ إلاّ انقلبت الآية عليه وأخزاه الله .

قال الجاحظ فى كتاب (الحيوان) عند القول فى الضفدع : ولا أدرى ما هيّج مسيلمة على ذكرها ولمّ ساء رأيه فيها حتّى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : على ضفدع بنت ضفدعين ، نقيّ ما تنقيّين ، نصفك فى الماء ونصّ فك فى الطين ، لا الماء تُكدّرين ، ولا الشارب تمنعين .

وقال الرافعى : وكلّ كلامه على هذا النمط واهٍ سخيّف لا ينهض ولا يتماسك ، بل هو مضطرب النسيج مبتذل المعنى مستهلك من جهتيه ، وما كان الرجل من السخف بحيث نقى ، ولا من الجهل بمعانى الكلام وسوء البصر بمواضعه^١ .

وقال الدكتور درّاز - بشأن سخافة عقله - : فقد زعم أنّه يُوحى إليه بكلام مثل القرآن ، وما صنع شيئاً إلاّ أنّه كان يعمد إلى آى القرآن فيسرق أكثر ألفاظها ويبدّل بعضاً ، كقوله إنّنا أعطيناك الجماهر ، فصل لى بك وجاهر ، أو يجيء على موازين الكلمات القرآنية بألفاظ سوقية ومعانٍ سوقية ، كقوله : والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً .

وهكذا لم يستطع وهو عربى قحّ أن يحتفظ بأسلوب نفسه ، بل نزل إلى حدّ الإسفاف ، وأتى العبث الذى يأتیه الصبيان فى مداعبتهم وتفكّهم بقلب الأشعار والأغانى عن وجهها ، ولا يخفى أنّ هذا كلّه ليس من المعارضة فى شيء ، بل هو المُحاكاة والإفساد ، وما مثله إلاّ كمثل من يستبدل بالإنسان تمثالاً لا روح فيه ، وهو على ذلك تمثال ليس فى شيء من جمال الفن^٢ .

قلت : وبذلك يتبيّن فساد ما زعمه بعض أهل الخرف ، من أنّه لو كان ما أتى به باطلاً لوجب على الله إرغامه ، كما قال تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)^٣ ، كما زعمه بعض البابية فى سفاسفهم .

^١ إعجاز القرآن : ص ١٧٥ .

^٢ النبأ العظيم : ص ٧٤ .

إذ لا تُعدّ أمثال هذه الخزعات تقوُّلاً على الله ، ما لا يتناسب مع كلامه تعالى ، لا في لفظه ولا في أسلوبه ولا في شيء من معانيه ، إنّما هي ترّهات تشبه أطيّط بعير أو نهيق حمار .

٢. سجاح بنت الحارث التميمية :

كانت في بنى تغلب (وهم أخوالها) راسخة في النصرانية ، وكانت تعلّمت منهم بعضاً من شؤون الدين ، فتنبّأت فيهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستجاب لها الهذيل وتركت التنصّر ، ومالاًها جماعة من رؤساء القبائل ، وكانت تقول لهم : إنّما أنا امرأة من بنى يربوع ، وإن كان ملك فالملك ملككم ، فخرجت بهم تريد غزو المسلمين ، ومَرّت تقاتل بعض القبائل وتوادع بعضها ، وكان أمر مسيلمة قد غلظ واشتدّت شوكة أهل اليمامة ، فنهدت له بجمعها ، وخافها مسيلمة ثمّ اجتمعا وعرض عليها أن يتزوّجا ، قال : ليأكل بقومه وقومها العرب فأجابت وانصرفت إلى قومها فقالوا : ما عندك ؟ قالت : كان على الحقّ فاتبعته فتزوّجته ...

ولها خلال قصّتها كلمات وتسجيّعات لتُوقر من أنفس العرب وتستدرجهم في الاستماع إلى هذه التعابير المسجّعة التي تشبه كلام الكهّان ، وإليك إجمال قصّتها :

كانت عندما تريد الخروج قالت : أعدّوا الركاب ، واستعدّوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب ، وكان قصدت الإغارة على قبيلة رباب ، كانت من أضعف القبائل . لكنّها فشلت ورجعت مقهورة . يقول أصمّ التميمي في ذلك :

أتتنا أختٌ تغلب فاستهدت جلائبَ من سُرّة بنى أبينا^١

وأرست دعوةً فينا سفاهاً وكانت من عمائر آخرينا^٢

فما كنّا لنرزيهم زبالاً وما كانت لتسلم إذ أتينا^٣

^١ الحاقة : ٤٤ - ٤٧ .

^٢ إستهد : استضعف ، والجلائب : جمع الجليبة وهي المجلوبة . والسرى : الشريف .

^٣ أرسى : أثبت ، العميرة : خلايا النحل مجموعة ، وتُطلق على الحيّ العظيم المنفرد .

^٤ رزى فلاناً : قبل برّه . والزبال : ما تحمله النملة بفمها .

ألا سفهت حلومكم وضلّت عشية تحشدون لها ثبيل^١

ثمّ خرجت في جنود الجزيرة حتّى بلغت النجاج ، فأغار عليهم أوس ابن خزيمة وهزمهم وقتل منهم وأسّر من أسر ، فردّت على أعقابها ، فاجتمع إليها رؤساء الجزيرة ، وقالوا لها : ماذا تأمرين ؟ قالت : اليمامة ! فقالوا : إنّ شوكة أهل اليمامة شديدة وقد غلظ أمر مسيلمة ، قالت عليكم باليمامة ، ودفّوا دفيف الحمامة ، فإنّها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة .

فنهدت لبنى حنيفة ، وبلغ ذلك مسيلمة ، فهابها واحتال في استمالتها ، فأرسل إليها بهديّة ، وطلب منها يستأمنها على نفسه حتّى يأتها ، فأمرت بنزول الجند على الأمواه^٢ ، وأذنت له وآمنتته ، فجاءها وافداً في أربعين رجلاً من الأحناف ، فأول ما بدأها أن قال لها : لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت ، وقد ردّ الله عليك النصف الذي ردّت قريش ، فحباك به ، وكان لها لو قبلت .

فقالت : لا يردّ النصف إلّا من حنف ، فاحمل النصف إلى خيل تراها كالسيف^٣ .

فقال مسيلمة : سمع الله لمن سمع ، وأطعمه بالخير إذا طمع ، ولا زال أمره في كلّ ما سرّ نفسه يجتمع ، رآكم ربّكم فحيّاكم ، ومن وحشة خلاكم ، ويوم دينه أنجاكم ، فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشياء ولا فجّار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربّكم الكبار ، ربّ الغيوم والأمطار .

وقال أيضاً : لمّا رأيت وجوههم حسنت ، وأبشارهم صفّت ، وأيديهم طفلت ،

قلت لهم : لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربون ، ولكنّكم معشر أبرار ، تصومون يوماً وتكلفون يوماً ، فسبحان الله ، إذا جاءت الحياة كيف تحيون ، والى ملك السماء ترقون ، فلو أنّها حبة خردلة لقام عليها شهيد ، يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثبور^٤ .

^١ حشده : جمعه ، والثنين : طرف الرداء إذا تنبّه أى تنبيه .

^٢ الأمواه : المياه جمع ماء .

^٣ حنف : مال ، السهف : حشف السمك أطلق على الخيل الصغار .

^٤ طفلت : أى صارت ناعمة كالطفلة ، والثبور : الويل والهلاك .

ثم دعا مسيلمة سجاحاً إلى حصنه ، فلما أتت ونزلت به أغلق الحصن دونها ، فقالت له : انزل ، قال : فنحى عنك أصحابك ، ففعلت ، فقال مسيلمة : اضربوا لها قبةً وجمّروها ، لعلها تذكر الباه ، ففعلوا .

فلما دخلت القبة نزل مسيلمة فقال : ماذا أوحى إليك فقالت : هل تكون النساء يبتدئن ؟ ! ولكن أنت قل ، ماذا أوحى إليك ؟ قال مسيلمة : ألم ترى إلى ربك كيف فعل بالحلي ، أخرج منها نسمةً تسعى ، من بين صفاقٍ وحشى . قالت : وماذا أيضاً ؟ قال أوحى إليّ : إن الله خلق النساء أفرجاً ، وجعل الرجال لهن أزواجاً ، ف نولج فيهن قُعساً^١ إيلاجاً ، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجاً ، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً .

قالت : أشهد أنك نبيّ ! قال : هل لك أن أتزوجك ؟ فأكل بقومي وقومك العرب ؟ قالت : نعم ، فقال :

ألا قومي إلى ... فقد هُيئ لك المضجع

... إلى آخر أبيات ملؤها استهتار وخلاعة ، يترفع القلم عن نقلها^٢.

ذكر ابن حجر : أنها بعد مقتل مسيلمة عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية^٣ وما كانت نبوتها إلا زفافاً على مسيلمة !

٣. طليحة بن خويلد الأسدي :

كان من أشجع العرب ، وكان يُعدّ بألف فارس ، قدم على النبي (صلى الله عليه وآله) في وفد أسد بن خزيمة سنة تسع فأسلموا ، ثم لما رجع تنبأ طليحة وعظم أمره بعد أن توفى رسول الله ، وكان يزعم أن ذا النون هو الذي يأتيه بالوحي ، ولم يأت بقرآن ؛ لأن قومه من الفصحاء لم يكن ليعبر عليهم ذلك ، إلا أنهم تابعوه عصبيةً وطل بآ لأمر كانوا يحسبونه كائناً في العرب بالغلبة .

ولم يؤثر منه كلام سوى قوله : إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أديباركم شيئاً ، فاذكروا الله قياماً ، فإن الرغوة فوق الصريح ، وذلك أن الصلاة في شرعه كانت مجرد قيام وابتهاال إلى الله ، فيما زعم .

^١ القُعس - بضم القاف - تنوء في الجسد ، كناية عن .. وفي الأغاني : (فنولج فيهن الغراميل ...) والغرمول : الضخم من ...

^٢ راجع تفصيل القصّة في الطبري : ج ٢ ص ٤٩٦ - ٤٩٩ .

^٣ الإصابة : ج ٤ ص ٣٤٠ .

ولمّا توافته جيوش المسلمين تَلَفَّفَ في كساء له بفناء بيت له من شعر ، يتنبأ لهم والناس يقتتلون ، وكان عيينة بن حصن - في سبعمئة من بني فزارة - يُقاتل دونه ، فلمّا هزّت عيينة الحرب وضرب القتال كرّاً على طليحة ، فقال : هل جاءك جبرئيل بعد ؟ قال : لا ، فرجع فقاتل ، حتّى إذا اشتدّت الحرب ثانية جاءه فقال له : لا أبأ لك ، أجاك جبرئيل بعد ؟ قال : لا والله . فجعل يقول عيينة : حتّى متى ؟ قد والله بلغ منّا ، ثمّ رجع فقاتل ، وكرّ عليه ثالثاً وسأله هل جاءه جبرئيل ، وفي هذه المرّة قال : نعم ! قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال لي : إنّ لك رحيّ كرحاه ، وحديثاً لا تنساه .

فقال عيينة : أظنّ أنّ قد علم الله أنّه سيكون حديث لا تنساه ، يا بني فزارة ، هكذا فانصرفوا فهذا والله كذاب ! فانصرفوا وانهمزم الناس ، فغشوا طليحة يقولون : ماذا تأمرنا ؟ - وقد كان أعدّ فرسه عنده ، وهيأً بعبيراً لامرأته ا لنوّار - فلمّا أن غشوه يقولون : ماذا تأمرنا ؟ قام فوثب على فرسه وحمل امرأته ثمّ نجا بها ، وقال : من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل ، ثمّ سلك الحوشية حتّى لحق بالشام ، وارفص جمعه^١ .

٤. الأسود العنسي :

هو مسعود بن كعب من بني مذحج ، ويقال له (عبهلة) ، وكان يُلقب ذا الخمار ؛ إذ كان يقول : يأتيني ذو خمار ، وكان فصيحاً معروفاً بالكهانة والسجع عالماً بالنسب ، وقد تنبأ على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) ، وخرج باليمن ، واتبعته قبائل من مذحج واليمن واستفحل أمره ، وكان يدعى أنّ ملكين يأتياه يُسمّى أحدهما (سحيقاً) والآخر (شريقاً) وكان إذا ذهب مذهب التنبؤ أكبّ ثم رَفَعَ رأسه ويقول : قال لي : كيت كيت ، وكان له خُدع كثيرة يزخرف بها ، قُتل قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بيوم ، قتله فيروز وقيس وداذويه من أبناء الفرس الذين أسلموا باليمن ، قتلوه في تواطؤ خطير .

وذلك عن طريق امرأة يقال لها (مرزبانة) كان قد اغتصبها ؛ لأنّها كانت من أجمل النساء وكانت مسلمةً سالحةً ، وكانت تحدّث عنه أنّه لا يغتسل من الجنابة ، فصنعت سرباً - حفيرةً تحت الأرض : النفق - وأدخلتهم عليه وهو سكران ، فخبطوه بأسيا فهم ، وهم يقولون :

^١ تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٤٨٥ - ٤٨٦ حوادث سنة ١١ .

ضَلَّ نَبِيٌّ مَاتَ وَهُوَ سَكَرَانُ وَالنَّاسُ تَلْقَى جَلَّهَمَ كَالذَّبَّانِ

النور والنار لديهم سَيَّانُ^١

وذكر ابن جرير : أَنَّ الْأَسْوَدَ الْعَنْسَى كَتَبَ إِلَى عَمَّالِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَرُؤَسَاءِ الْأَجْنَادِ : أَيُّهَا الْمَتُورِدُونَ عَلَيْنَا ، امْسْكُوا عَلَيْنَا مَا أَخَذْتُمْ مِنْ أَرْضِنَا ، وَوَقِّرُوا مَا جَمَعْتُمْ ، فَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ .

وَكَانَ اللَّعِينُ قَدْ خَرَجَ وَاسْتَغْلَظَ أَمْرَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى صَنْعَاءَ وَقَتَلَ شَهْرَ بْنَ بَاذَانَ

الَّذِي خَلَفَ أَبَاهُ بَاذَانَ عَلَى صَنْعَاءَ بِأَمْرِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وَتَزَوَّجَ بِامْرَأَتِهِ (آزَادَ) - وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ فَيْرُوزَ ، وَلَعَلَّهَا الَّتِي كَانَتْ تُقَلَّبُ بِهِ (مَرْزَبَانَةَ) - عَلَى مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ الرُّوضِ الْأَنْفِ - وَقَدْ أَسْنَدَ أَمْرَ جَدِّهِ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَبْدِ يَفْوْثَ ، وَأَسْنَدَ أَمْرَ الْأَبْنَاءِ (الْفَرَسِ الَّذِينَ قَطَنُوا الْيَمْنَ) إِلَى فَيْرُوزَ وَدَاذَوِيهِ ، وَكَانُوا مِنْ ذِي قَبْلِ مَنْ عَمَّالِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، فَاسْتَمَالَهُمْ وَهَدَّدَهُمْ عَلَى قَبُولِ وَلَايَتِهِ ، فَقَبِلُوا مَكْرَهُينَ .

قَالَ : وَاسْتَخَفَّ بِقَيْسَ وَبِفَيْرُوزَ وَدَاذَوِيهِ ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً شَهْرَ ، ابْنَةَ عَمِّ فَيْرُوزَ .

يَقُولُ فَيْرُوزُ : وَنَحْنُ فِي هَذِهِ الشَّدَّةِ إِذْ جَاءَنَا كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، قَدِمَ عَلَيْنَا بِهِ وَبَرَّ بْنُ يَحْنَسَ ، يَأْمُرُنَا فِيهِ بِالْقِيَامِ عَلَى دِينِنَا وَالنَّهْوِ فِي الْحَرْبِ ، وَالْعَمَلِ فِي الْأَسْوَدِ إِمَّا غَلِيَّةً وَإِمَّا مُصَادِمَةً ، وَأَنْ نَبْلَغَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِنَا أَنْ عِنْدَهُ نَجْدَةٌ وَدِينًا ، فَعَمَلْنَا فِي ذَلِكَ ، وَكَاتَبْنَا النَّاسَ وَدَعَوْنَاهُمْ ، فَرَأَيْنَا أَمْرًا كَثِيفًا^٢ .

قَالَ : وَقَدْ أَحْسَنَ بِذَلِكَ الْأَسْوَدُ ، يُقَالُ : أَخْبَرَهُ بِهِ شَيْطَانُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى قَيْسَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى شَيْطَانِهِ - يَقُولُ لِي : عَمِدْتُ إِلَى قَيْسَ فَأَكْرَمْتُهُ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مِنْكَ كُلُّ مَدْخَلٍ ، وَصَارَ فِي الْعِزِّ مِثْلَكَ ، مَا مِيلَ عِدُوكَ وَحَاوَلَ مَلِكَكَ ، وَأَضْمَرَ عَلَى الْغَدْرِ ، إِنَّهُ يَقُولُ : يَا أَسْوَدُ يَا أَسْوَدَ ، يَا سَوَاءَ يَا سَوَاءَ ، اقْطِفْ قُنَّتَهُ^٣ وَخُذْ مِنْ قَيْسَ أَعْلَاهُ ، وَإِلَّا سَلَبَكَ أَوْ قَطَفَ قُنَّتَكَ . فَقَالَ قَيْسُ : كَذَبَ وَذِي الْخُمَارِ ، لِأَنْتَ أَعْظَمَ عِنْدِي مِنْ أَنْ أُحْدِثَ نَفْسِي بِذَلِكَ ، فَقَالَ الْعَنْسَى : مَا أَجْفَاكَ ، أَتَكْذِبُ الْمَلِكَ ! قَدْ صَدَّقَ الْمَلِكُ لَكِنِّي عَرَفْتُ الْآنَ أَنَّكَ تَائِبٌ !

^١ الرُّوضُ الْأَنْفُ : ج ٤ ص ٢٢٦ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ : ج ٤ ص ٢٤٦ .

^٢ كَتَفَ : غَلَطَ كَثْرَ وَالتَّفَّ .

^٣ الْقَنَّةُ : كَالْقَلَّةِ لَفْظًا وَمَعْنَى ، وَهُوَ أَعْلَى الشَّيْءِ وَرَأْسُهُ .

ثم خرج قيس من عنده وجاء إلى جُشيش وفيروز وداذويه وأخبرهم بالخبر ، وقال : إذا فما الرأي ؟ قالوا : نحن على حذر .
فبيناهم على ذلك إذ أرسل إليهم العنسي ، وقال لهم : ألم أشرّفكم على قومكم ، ألم يبلغني عنكم ؟! فقالوا : أقلنا
مرّتنا هذه ، فقال لهم : لا يبلغني عنكم فأقتلكم ، قالوا : فنجونا ولم نكد ، لكنّه لم يزل في ارتياب من أمرنا وأمر قيس ، ونحن
أيضاً في ارتياب من أمره .

قال فيروز : إذ جاءنا اعتراض عامر بن شهر بن باذان ، وذى زود ، وذى مران ، وذى كلاع ، وذى ظليم عليه ، وكاتبونا وبذلوا
لنا النصر ، وإنّما احتاجوا لذلك حين جاءهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشأن العنسي يحرضهم عرباً وغير عرب
على رفع فتنته ، فكاتبناهم أن لا يحركوا شيئاً حتّى نبرم الأمر .

قال : فدخلت على (آزاد) امرأته فقلت لها : يا ابنة عمّ ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ، قتل زوجك وطأطأ في
قومك القتل - أى أسرع فيهم القتل - وسفل بمنّ بقى منهم ، وفضح النساء ، فهل عندك من ممالأة عليه ؟! فقالت : علىّ أمره ،
قلت : إحراجه ؟ قالت : أو قتله ، قلت : أو قتله ؟! قالت : نعم ، والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه ، ما يقوم الله على حقّ ،
ولا ينتهى له على حرمة ، قالت : فإذا عزمتم فأعلموني ، أخبركم بمأتى هذا الأمر .

قال : فاجتمع أمرنا على أن نغدر به ، فأتيت آزاد وأخبرتها بعزيمتنا وانتظرت رأيها ، فقالت : هو متحرّس ، وليس في القصر
ناحية إلّا والحرس محيطون بها ، سوى هذا البيت ، فإنّ ظهره إلى مكان كذا ، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه ، فإنّكم دون الحرس ،
وليس دون قتله شيء ، قالت : وإنّكم ستجدون فيه سلاحاً وسراجاً .

فتقدّم جُشيش وداذويه فاقتلعا بطانة البيت ، فدخل فيروز وأغلق الباب وجلس عند آزاد كالزائر ، وإذا بالأسود دخل عليها
فاستخفّته غيره ، وأخبرته برضاع وقرابة ، فصاح به وأخرجه .

قال : فنقبنا البيت من خارج ودخلنا وفيه سراج تحت جفنة ، وإذا به يمرّ بباب البيت إذ سمع غطيّطاً ، فعاجله فيروز فخالطه وهو
مثل الجمل ، فأخذ برأسه وقتله ، فدقّ عنقه ووضع ركبته في ظهره فدقّه ، ثمّ قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه ، وهى ترى أنّه لم
يقتله ، فقالت أين تدعنى ؟ قال : أخبر أصحابي ، فأتاهم فقاموا معه

وأرادوا حَزَّ رأسه ، فلضطرب فلم يمكن ضبطه ، فقال : اجلسوا على صدره ، فجلس اثنان على صدره ، وأخذت المرأة بشعره ، إذ سمعت منه بربرة (صياح ونخير) فألجمته بمثلاة^١ فأمرُوا الشفرة على حلقه ، فخار كأشدَّ خوار ثور ، فابتدر الحرس الذين كانوا حول المقصورة ، فقالوا : ما هذا ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبيُّ يُوحى إليه ! فحمد .

قال : وكتبنا بذلك إلى رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) ، وكان قد أتاه الخبر من السماء الليلة التي قُتل فيه العنسي ، فأصبح رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) يُبشِّر أصحابه بهلاك عدوِّ الله فقال : قُتل العنسي البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين ! قيل : ومن هو ؟ قال : فيروز ، فاز فيروز^٢ ، تلك كانت نهاية أمر اللعين عدوِّ الله .

قال فيروز في كيفية قتله : إنِّي لما خرجت إليه كنت قد خلفت سيفي فقلت : إن رجعت إلى سيفي خفت أن يفوتني ، فضربت بيدي على رأسه ، وأخذت رأسه بيد ولحيته بيد ، ثم لويت عنقه فدققتها .

قال أبو جعفر : وكان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر^٣ .

٥. ابن المقفّع :

عبد الله بن المقفّع الفارسي الماهر في صناعة الإنشاء والأدب^٤ وهو الذي عرّب (كليله ودمنة) بأسلوبه الأدبي البديع ، صاحب كتاب (الدرّة اليتيمة) المعروفة ، زعموا أنّه اشتغل بمعارضة القرآن مدة مزّق ما جمع واستحيى لنفسه من إظهاره .

يقال : اجتمع أبو شاعر الديصاني وابن أبي العوجاء^٥ وعبد الملك البصري^٦ وابن المقفّع في المسجد الحرام يستهزئون بالحاجّ ويطعنون في الإسلام والقرآن .

^١ هي خرقة تمسكها المرأة عند النوح تشير بها .

^٢ فيروز معرّب بيروز ، بمعنى المضفر .

^٣ تاريخ الطبري : ج ٢ ص ٤٦٣ - ٤٧٣ .

^٤ أسلم على يد عيسى بن علي عمّ المنصور ، ولعلّه لذلك (لمنافسة كانت بينه وبين عمّه) أمر عامله بالبصرة سفيان بن معاوية بشنق ابن المقفّع نكايّة به ، بحجة زندقته في ظاهر الأمر ، كان ذلك عام ١٤٣ .

^٥ ستأتي ترجمتهما في صفحة ١٥٤ .

^٦ لم نعر على ترجمته .

فقال ابن أبي العوجاء : تعالوا ننقض القرآن كل واحد منّا ربه ، وإذا نقضناه بطلت نبوة محمد ، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام!

فتوافقوا على أن يجتمعوا بعد عام ويأتوا بما عملوا في نفس المكان ، فلما كان من قابل واجتمعوا ، وإذا هم لم يأتوا بشيء !

قال ابن أبي العوجاء : أما أنا فمُنذ افْتَقْنَا تَفَكَّرْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا)^١ فلم أقدر على موازاتها في

الفصاحة والبيان ، فقد شغلتنى عن التفكير في غيرها !

وقال عبد الملك : وأنا منذ فارقتكم كنت مفكراً في هذه الآية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ

الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)^٢ فلم أقدر على

مناظرتها !

وقال أبو شاعر : وأنا أيضاً منذ مفارقتي إياكم ظللت متفكراً في هذه الآية (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^٣ فلم أقدر على

أن أمثلها !

فقال ابن المقفع : يا قوم ، إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر ، وأنا مذ فارقتكم مفكراً في هذه الآية (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي

مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)^٤ فلم أستطع

أن أتى بنظيرتها !

قال هشام بن الحكم^٥ وهو يراقب الجماعة : فبينما هم في ذلك ، إذ مرّ بهم الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وعلم

وعلم ما هم فيه ، فقال لهم - متهمكماً - : (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)^٦.

^١ يوسف : ٨٠ .

^٢ الحج : ٧٣ .

^٣ الأنبياء : ٢٢ .

^٤ هود : ٤٤ .

^٥ كان من أعظم صحابة الإمام الصادق (عليه السلام) مشهوراً بالكلام وحسن المناظرة ، كان كوفيّاً ونشأ بواسط واتّجر ببغداد ، توفّي سنة ١٩٩ هـ .

^٦ الإسراء : ٨٨ .

قال : فنظر القوم بعضهم إلى بعض ، وقالوا - معجبين بالأمر - : لئن كان للإسلام حقيقة وإلا لما انتهت وصاية محمد (صلى الله عليه وآله) إلى مثل جعفر بن محمد ، والله ما رأيناه قطّ إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته ، ثم تفرّقوا مقرّين بالعجز^١ (٣) . هذا ، وقد أنكر العلماء نسبة ذلك إلى ابن المقفّع ، الذى هو من أبصر الناس باستحالة المعارضة ، إنّما يعرف ذا الفضل من الفضل ذوه .

قال الرافعى : هذه النسبة مكذوبة عليه ، وأنّ ابن المقفّع من أبصر الناس بعدم إمكان معارضته مثل القرآن ، لا لشيء إلا ، لأنّه من أبلغ الناس ، وإذا قيل : إنّ فلاناً يزعم إمكان المعارضة فاعلم أنّه إما جاهل أحقّ أو عالم أعمته العصبية ، وابن المقفّع ليس واحداً منهما ، ذلك الرجل العاقل الخبير بموضع نفسه من كلام الله المجيد .

قلت : إن صحت الرواية - ولم تصح - فلعلّه كان مجارة مع بنى جلدته من أهل الأدب ، وربّما كانوا يلحدون فى آيات الله ، فأراد بهذه التجربة إفحامهم وإقناعهم بواقع الأمر .

تدلك على ذلك قصّته الأخرى - فى المسجد الحرام - مع أصحابه ، عندما مرّوا بالإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فعمد إلى التّنويه بمقامه الرفيع :

روى الصدوق عليه الرحمة بإسناده المتّصل إلى أحمد بن محسن الميثمى قال : كنت عند أبى منصور المتطبّب فقال : أخبرنى رجل من أصحابى قال : كنت أنا وابن أبى العوجاء وعبد الله بن المقفّع فى المسجد الحرام ، فقال ابن المقفّع : ترون هذا الخلق ؟ - وأوماً بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيّة ، إلاّ ذلك الشيخ الجالس - يعنى جعفر بن محمد (عليه السلام) - فأما الباقيون فرعاع وبهائم .

فقال له ابن أبى العوجاء : وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء ؟ قال : لأنّى رأيت عنده ما لم أرَ عندهم . فقال ابن أبى العوجاء : ما بُدّ من اختبار ما قلت فيه منه ، فقال له ابن المقفّع : لا تفعل ، فإنّى أخاف أن يُفسد عليك ما فى يدك .

^١ الاحتجاج للطبرسى : ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ ، وأورد مختصره فى بحار الأنوار : ج ٨٩ ص ١٦ نقلاً عن مختصر الخرائج : ص ٢٤٢ .

فقال : ليس ذا رأيك ، ولكنك تخاف أن يضعف رأيك عندي ، في إحلالك إياه المحلّ الذي و صفت ! فقال ابن المقفّع : أمّا إذا توهّمت علىّ هذا فقم إليه ، وتحفّظ ما استطعت من الزلل ، ولا تثنّ عنانك إلى استرسالٍ يُسلمك إلى عقاب ، وسمه مالك أو عليك !

قال : فقام ابن أبي العوجاء إلى الإمام - وتكلّم معه وحاججه طويلاً في شرح يطول ، ثمّ رجع وهو مبهور بفضله ونبوغه - فقال : يا ابن المقفّع ، ما هذا ببشر ، وإن كان في الدنيا روحانيّ يتجسّد إذا شاء ظاهراً ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا ! ثمّ ذكر له حديثه معه^١ .

وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ ابن المقفّع كان يرى - بفضل ذكائه وفرط عقله - مكانة أئمة المسلمين الأحقّاء بمقام الإمامة سمّوا ورفعةً وشموخاً ، تلك كانت

عقيدته الباطنة ، وربّما كان يتألّم من تقدم غير الأهل من أهل الهرج والضوضاء ، فكان يقوم في وجههم ويعارضهم بقوة بيانه وصريح حجّته ؛ ومن ثمّ رموه بالزندقة والإلحاد ، هذا ما أظنّه بحقّ الرجل وربّما لا أشكّ في استقامة طريقته على غرار استقامة سائر أبناء الفرس الذين أسلموا يوم أسلموا وكانوا يرون الحقّ مع أهل بيت الرسول (صلّى الله عليه وآله) وإن كان في ذلك رغم أنوف أشياع أُميّة وبنى العبّاس !

٦. أبو شاعر الديصاني :

هو عبد الله أبو شاعر الديصاني ، نسبة إلى الفرقة الديصانيّة ، مذهب قديم من ثنوية المجوس ، له كتاب (النور والظلمة) . كان يسكن الكوفة وله مع هشام بن الحكم مناظرات ، وأخيراً أسلم على يد الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) في مباحثة جرت معه فاستسلم ، وتشهد الشهادتين وتاب إلى الله ممّا كلن فيه ، عاش إلى حدود المئة والخمسين . وقد مرّت قصة معارضته للقرآن إن صحّت ، نعم ، له محاججات على مذهبه القديم الثنوي استناداً إلى آيات متشابهة في القرآن ، ذكرها المجلسي في بحار الأنوار وغيره^٢ (١) .

^١ كتاب التوحيد : باب القدرة ح ٤ ص ١٢٦ .

^٢ راجع بحار الأنوار : ج ٤ ص ١٤٠ ، وسفينه البحار : ج ١ ص ٤٧٥ ، وتجه في الملل والنحل للشهرستاني : ج ٢ ص ٥٥ .

٧. ابن أبي العوجاء :

هو عبد الكريم بن أبي العوجاء ، خال معن بن زائدة ، زنديق مغترّ ، كان تلميذاً للحسن البصريّ فانحرف عن التوحيد . وكان يقول : إنّ صاحبي كان مخلطاً يقول طوراً بالجبر وطوراً بالقدر ! فما أعتقد له مذهباً ! وقد جرى بينه وبين الإمام الصادق (عليه السلام) احتجاجات ، ولمّا أخذ يُضرب عنقه ، قال : لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرمّ وأحلّ . كان عبد الكريم يُفسد الأحداث ، فتهدّده عمرو بن عبيد ، فلحق بالكوفة ، فدلّ عليه محمّد بن سليمان - أمير البصرة - فقتله وصلبه ، وكان ذلك في خلافة المهدي بعد السّتين والمائة^١ .

له مع الإمام الصادق (عليه السلام) مناظرات كثيرة في مختلف شؤون الدين ، ولا سيّما فيما زعمه من مناقضات في القرآن الكريم^٢ ، أمّا قصّة معارضته للقرآن فقد مرّت في قصّة ابن المقفّع .

٨ - ابن الراوندي :

أبو الحسين أحمد بن يحيى الراوندي البغدادي ، (المتوفّى سنة ٢٤٥ هـ) ، نسبته إلى راوند من قرى كاشان ، كان من العلماء الأفاضل ، ومن النقاد من أهل الكلام ، له مجالس ومنظرات مع أرباب الأصول من أصحاب المذاهب ولا سيّما أهل الاعتزال ، فإنّ له نقداً حراً على أصول مذهبهم في المعتقدات ؛ ومن ثمّ رمى بالزندقة والإلحاد . يقال : إنّ وضع كتابه (الفرند) طعناً في الدين ذكر فيه : أنّ المسلمين احتجّوا لنبوة نبيّهم بالقرآن الذي تحدّى به النبيّ فلم تقدر العرب على المعارضة ، فيقال لهم : أخبرونا لو ادّعى مدّع لمن تقدّم من الفلاسفة مثل دعواكم في القرآن ، فقال : الدليل على صدق بطليموس أو اقليدس أنّ اقليدس ادّعى أنّ الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه ، أكانت نبوّته تثبت ؟^٣ . لكن يظهر من مناظراته مع أرباب الجدل أنّ كلماته مثل هذه إنّما قالها جدلاً وإفحاماً لدليل الخصم ، لا لعقيدة الخلاف واقعاً . انظر إلى ما نقله صاحب كتاب (معاهد التخصيص) عن مناظرة وقعت بينه وبين أبي علي الجبائي رئيس المعتزلة في وقته . قال له ابن الراوندي : ألا تسمع شيئاً من معارضتي للقرآن ؟ قال الجبائي : أنا أعلم بمخازي علومك ، ولكن أحاكمك إلى

^١ راجع الكنى والألقاب : ج ١ ص ٢٠١ ، ولسان الميزان : ج ٤ ص ٥١ - ٥٢ .

^٢ راجع توحيد الصدوق : ص ٢٥٣ .

^٣ تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر) : ج ٢ ص ٦١ .

نفسك ، فهل تجد في معارضتك له عذوبةً وهشاشةً وتشاكلاً وتلاؤماً ونظماً كنظمه وحلاوةً كحلاوته ؟ قال : لا والله ، قال :
قد كفيتني ، فانصرف حيث شئت .

قال الرافعي : أما ما قيل من معارضته للقرآن فلم يُعلم منها شيء سوى هذه المناظرة^١ .

قلت : على فرض صحتها فهي صريحة في عقيدته بكبرياء القرآن وعظمته الخارقة ، ومن ثم فهي على العكس أدلّ ، وأنه إنما
جارى الخصوم في أنه هل يمكن المعارضة أم لا ؟

هذا وقد رُمي إلى الرفض والتشيع ، رفضاً لعقائد أهل السنة القائلين بالجبر والقدر ، ولعلّه شائع مذهب أهل البيت (عليهم
السلام) في مسائل العقيدة الإسلامية الأولى .

وكيف كان ، فلم يثبت أنه عارض القرآن أو حاول معارضته ، مع أنه الرجل العالم العارف بمواقع الكلام .

قال الشريف المرتضى في كتاب (الشافي) : إن ابن الراوندي إنما عمل الكتب تشنيعاً على مغالطات المعتزلة ؛ ليبيّن لهم عن
استقصاء نقصانها ، وكان يتبرأ منها تبرؤاً ظاهراً ، وينتحي من علمها وتصنيفها إلى غيره ، وله كتب سداد مثل كتاب الإمامة
والعروس ... وعن صاحب الرياض : يبدو من كتب السيّد أنه كان يحسن الظنّ به مستقيماً في عقيدته ...^٢ .

٩. أبو الطيّب المتنبي :

كذلك نُسب إلى أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبي (المتوفى قتيلاً سنة ٣٥٤ هـ) أنه ادّعى النبوة في حدثان أمره ، وكان
ذلك في بادية السماوة (العراق) وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، وقيل : إنه تلا على البوادي كلاماً زعم أنه قرآن
أنزل عليه ، منه :

والنجم السيّار ، والفلك الدوّار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي إخطار ، أمضِ على سنّتك ، وأقف أثر من قبلك من المرسلين
، فإن الله قانع بك زيع من ألد في دينه ، وضلّ عن سبيله .

لكنّه كلام ليس من طبقة شعره ولا في وزن كلامه ، كما لا يخفى على من راج ديوانه .

^١ الإعجاز : ص ١٨٣ بالهامش .

^٢ الكنى والألقاب : ج ١ ص ٢٨٨ .

وإنّما تُلقَّب بالمتنبّي ؛ لأنّه فاق الشعراء في شعره وأعجز الأدباء في أدبه ، فلكانّه تنبّياً وأتى بالمعجزات ، كما قال ابن جنّي :

سمعت أبا الطيّب يقول : إنّما تُقبت بذلك لمكان قولي :

أنا ربّ الندى وربّ القوافي وسِمام العدى وغيظُ الحسودِ

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمودِ

ما مقامي بأرض نخلٍ إلّا كمقام المسيح بين اليهودِ

وقال الواحدى بشأنه :

ما رأى الناسُ ثانِي المتنبّي أيّ ثانٍ يُرى لبكر الزمانِ

وهو في شعره نبِيٌّ ولكن ظهرت معجزاته في المعاني

وهو من فحول شعراء الشيعة ، وله في مديح أمير المؤمنين (عليه السلام) قصائد وأبيات منها قوله :

أبا حسنٍ لو كان حبّك مُدخلي جهنّم كان الفوز عندى جحيمها

وكيف يخاف النار من باتٍ موقناً بأنّ أمير المؤمنين قسيمها

وكم لأعداء أهل البيت مُفتريات ألصقوها برجالات الأدب والكمال من الشيعة الأبرار ؛ حسداً من عند أنفسهم وبغضاً لموالى هذا

البيت الرفيع^١.

١٠. أبو العلاء المعرّي :

أحمد بن عبد الله بن سليمان (المتوفى سنة ٤٤٩ هـ) كان نسيج وحده بالعربية ، وفاق أهل زمانه أدباً وذكاءً ، وقد أعجبه

محضر الشريف المرتضى ، فكان مولى بالحقّ لده ، حتّى عدّ من شعراء مجلسه ، وقال فيه :

يا سائلي عنه لمّا جئتُ أسأله ألا هو الرجل العارى من العارِ

لو جئته لرأيت الناس في رجلٍ والدهر في ساعة والأرض في دارٍ^٢

^١ الكنى والألقاب : ج ٣ ص ١٣٩ .

^٢ الكنى والألقاب : ج ٣ ص ١٩٤ .

وزعم بعضهم أنه عارض القرآن في قوله : (أقسم بخالق الخيل ، والريح الهابّة بليل ، ما بين الأشرار ومطالع سهيل ، أن الكافر لطويل الويل ، وأنّ العمر لمكفوف الذيل ، تعدّ اتق مدارج السيل ، وطالع التوبة من قبيل ، تنج وما أخالك بناج) .
وقوله : أذلت العائذة أباه ، وأصاب الوحدة وربّاه ، والله بكرمه اجتباها ، أولاها الشرف بما حباها ، أرسل الشمال وصباها ، ولا يخاف عقباها ...^١ .

لكنّه كلام ليس يشبه من كلام أديب شاعر بليغ ، قال الرافعي : وتلك ولا ريب فريّة على المعريّ أراد به عدو حاذق ؛ لأنّ الرجل أبصر بنفسه وبطبيعة الكلام الذي يعارضه ؛ ولأنّه هو الذي أثبت إعجاز القرآن فيما كتبه ردّاً على ابن الراوندي فيما نسب إليه .

قال - بشأن إعجاز القرآن - : وأجمع ملحد ومهتد ، وناكب عن المحجّة ومقتد ،
أنّ هذا الكتاب الذي جاء به محمّد (صلى الله عليه وآله) كتاب بهر بالإعجاز ، ولقى عدوّه بالإرجاز ، ما حذى على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال ، ما هو من القصيد الموزون ، ولا الرجز من سهل وحزون ، ولا شاكل خطابة العرب ، ولا سجع الكهنة ذوى الإرب ... وأنّ الآية منه أو بعض الآية لتعرض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشهاب المتألّئ في جُح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذاب نسق ، فتبارك الله ربّ العالمين^٢ .

نعم ، يجوز أن يكون الكلام الآنف إنّما قاله مداعبة لا عن جدّ وعن واقعية أرادها ، قال الخطيب : إن يكن ذلك من كلام أبي العلاء فلن يكون إلّا عن معاينة أرادها وقعد لها ، وإلّا فإنّ العلاء لا يرضى بنفسه أن تنزله إلى هذا السخف في مقام الجدّ أبداً .
وإنّه إذا كان أبو العلاء يتّهم في دينه فإنّه لا يتّهم في أدبه ، وإنّ ذوقه للكلام وبصره بمواقع الحسن والروعة فيه يحميه من أن يزلّ أو ينزلق فيتصدّى لمعارضة القرآن ويلقى بنفسه في البحر ليكون من المغرقين ، وهو الذي دأب على أن يزيّن كلامه وأدبه

^١ معجم الأدباء لياقوت : ج ٣ ص ١١٠ .

^٢ معجم الأدباء لياقوت : ج ٣ ص ١١٠ .

بما يقيس من كلمات القرآن وآياته ، فهل مَنْ يفعل ذلك يتصدّى لمعارضة القرآن ؟ ! المعرّى أعقل من هذا وأعرف الناس
بمكانة القرآن^١ (٢) .

^١ الإعجاز فى دراسات السابقين : ص ٥٠٤ .

مقدمه :

تاریخ از نام کسانی که گمان معارضه با قرآن را داشتند، خالی نیست و در آغاز رسالت نیز برخی بر این باور بودند که می‌توان مانند قرآن را آورد. «لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ»^۱ برخی از آنان مدعی نبوت بودند و برخی دیگر از جمله ادیبان و سخنوران عرب به شمار می‌آمدند. بازتاب این رفتارها این بود که یا دیگران هما وردیشان را نپذیرفتند و یا خود بر ناتوانی خویش اعتراف کردند. در این بخش به نمونه‌هایی از این معارضان که در تاریخ از آن‌ها یاد شده اشاره می‌کنیم.

مسيلمه كذاب :

مسيلمه بن حبيب، از قبیله بنی حنیفه، در یمامه بود که در زمان پیامبر به او ایمان آورد. اما بعد از مدتی مرتد شد و ادعای نبوت کرد. او شراب را حلال و حکم نماز را لغو کرد. وی به این مسئله که پیامبر اسلام (ص) رسول خداست، شهادت می‌داد، ولی خود را نیز شریک وی در رسالت می‌دانست. وی در اواخر سال دهم هجری، در نامه ای به پیامبر چنین نوشت: «از مسيلمه پیامبر خدا به محمد پیامبر خدا؛ سلام بر تو، من در امور با تو شریک هستم و نصف زمین برای تو، و نصف دیگر آن برای قریش است؛ ولی قریش قومی تجاوزکار است». وقتی نامه او را، دو نفر از قبیله وی، به حضرت رسول (ص) رساندند، حضرت پس از مطالعه فرمود: «نظر شما دو نفر در مورد مسيلمه چیست؟» آنها پاسخ دادند: «ما او را تصدیق می‌نماییم». حضرت رسول (ص) فرمود: «قسم به خدا اگر نبود که پیامبران، چنین نمی‌گشتند، هر آینه شما را گردن می‌زدیم». سپس حضرت در پاسخ وی چنین نوشت: «بسم الله الرحمن الرحيم . از محمد رسول خدا، به مسيلمه دروغگو، درود به کسی که از هدایت و حق پیروی می‌کند، اما بعد، همانا زمین از آن خداست، به هر کس از بندگان که بخواهد، به ارث می‌دهد، و عاقبت و پالان برای پرهیزکاران است».

نمونه‌هایی از هم‌آوردی مسيلمه :

^۱ . انفال/۳۱

از جمله سخنان وی که در معارضه با قرآن آورده، چنین گزارش شده است:

۱. «والشاء وألوانها و أعجبها السود و ألبانها، والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، و قد حرم المذق، فما لكم لا

تمجعون.»

۲. «الفيل و ما الفيل و ما ادراك ما الفيل، له ذنب و بيل و خرطوم طويل.»

۳. «يا ضفدع ابنة ضفدع، نقي ما تنقي، أعلاک فی الماء وأسفلک فی الطین، لا الشارب تمنعین و لا الماء تكدّرين.»

۴. «والمبذرات زرعاً و الحاصدات حصداً و الذاریات قحاً و الطاحنات طحناً و الخبازات خبزاً و الثاردات ثرداً و اللاقمات لقماً؛

اهالة و سمناً، لقد فضلتهم علی اهل الوبر، و ما سبقکم اهل المدر، ریفکم فامنعوه، والمعتّر فأووه، والباغی فناوؤه.»

واکنش‌ها به این هم‌وردی

فردی به نام، طلحه النمری نزد مسیلمه آمد و به او گفت : آیا تو مسیلمه هستی؟ گفت : بله، پسید: این جملات را چه کسی برای تو آورده؟ گفت: فرشته‌ای به نام رحمان، طلحه پرسید: در تاریکی بود یا در روشنایی؟ مسیلمه پاسخ داد: در تاریکی، طلحه در واکنش به وی گفت: شهادت می‌دهم که تو یک دروغگو هستی و محمد (ص) راستگو است. ولی این دروغگو نزد ما محبوب‌تر است از راستگویی که زیان رسان باشد. وی همراه مسیلمه بود تا زمانی که با او کشته شد. جاحظ، در کتاب «الحيوان» درباره یکی از هم‌وردی هایش که درباره قورباغه است چنین می‌گوید: «نمی‌دانم چه چیز مسیلمه را وادار کرد چنین سخنی را بگوید، و چرا دیدگاهش در این باره تباه شد، تا آنجا که گمان کرد مانند قرآن بر او نیز نازل شده‌است.

رافعی، درباره وی می‌گوید: تمام کلام وی بی ارزش و سست است و قابل تمسک نیست، کلامی پریشان و مبتذل و بی معناست. از این جهت، مردی سست گفتار است. این کلام هم ناشی از ناآگاهی وی به فصاحت و بلاغت است.^۱ برخی نیز به طور کلی معارضات مشهور مسیلمه را رد کرده و مورد انتقاد قرار می‌دهند.^۲

^۱ . تلخیص التمهید، معرفت، ص ۱۳۲ تا ۱۳۶.

^۲ . اعجاز القرآن، عبدالعلیم، ص ۴۸.

ابن المقفع :

او معروف به «ابن مقفع فارسی»، (د ۱۴۲) است که از ادیبان عرب بوده و کتاب «کلیله و دمنه» را با اسلوبی بدیع به عربی برگردانیده است. برخی گمان کرده‌اند که او مدتی را به معارضه با قرآن برخاست سپس هر آنچه جمع کرده بود، پاره کرد و آن را آشکار نساخت. در مورد او آمده است: وی در ایام حج به همراه ابن ابی العوجا، ابوشاکر الدیصانی، و عبدالملک بصری، در مسجدالحرام گردآمده بودند و به تمسخر حاجیان و طعن قرآن می‌پرداختند. در آنجا توافق کردند تا نوشته‌هایی مانند قرآن بیاورند؛ از جمع آنها، ابن ابی العوجا، پیشنهاد کرد که هر کدام به اندازه یک ربع قرآن مطالبی مانند قرآن نوشته و ارائه دهند و هنگامی که قرآن را نقض بکنند پیامبری محمد نیز بدین ترتیب باطل خواهد شد، و با بطلان او، اسلام پایان خواهد یافت. آنها توافق کردند تا سال بعد، هر کسی سهم خویش را آماده نماید و در همان مکان آنچه آماده کرده - اند، ارائه دهند. پس از یک سال که گرد هم جمع شده بودند هیچ کدام نتوانسته بودند، ماموریت خویش را انجام دهند.

اعتراف ابن مقفع و دیگران بر ناتوانی :

شرح حال هر یک از این افراد، در بیان ناتوانی شان و علت این عجز این گونه گزارش شده است: ابن ابی العوجا^۱: من از زمان جدایی از شما همواره در این عبارت به فکر فرو رفته‌ام و نمی‌توانم عباراتی موازی با آن در فصاحت و بیان بیاورم و این عبارت مرا از معارضه باز داشته است، و آن این است: « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا »^۲. عبدالملک: من نیز از زمانی که از شما جدا شدم، ذهنم راجع باراتی مشغول نموده و برای مقابله آن احساس عجز می‌کنم و از بقیه کار منصرف شدم، از جمله آن عبارات این است: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ »^۳.

^۱ . عبدالکریم ابن ابی العوجا، شاگرد حسن بصری بوده و با امام صادق (ع) احتجاج‌هایی درباره تناقض های قرآن، داشته است. وی در زمان مهدی عباسی به قتل رسید.

^۲ . پس چون از او نومید گشتند، رازگویان به یک سو شدند. یوسف/۸۰

^۳ . ای مردم، مثلی زده شده- در باره مشرکان و پرستش بتها- آن را گوش فرا دارید: کسانی را که به جای خدای یکتا می‌خوانید، مگسی را نتوانند آفرید گر چه همگی برای این کار گرد آیند و اگر مگس چیزی از آنها برباید در بازستاندن آن نتوانند : طالب و مطلوب- خواستار و خواسته یعنی پرستنده و پرستیده یا بت و مگس رباینده- هر دو بیچاره و ناتوانند. حج/۷۳ . هشام بن حکم که از بزرگان و یاران خاص امام صادق (ع) است می‌گوید: هنگامی که آنها مشغول گفتگو در کنار خانه خدا بودند، امام (ع) در همان حال با صدای بلند شروع به خواندن این آیه شریفه فرمود که: « قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ »

ابوشاکر دیصانی^۱: من هم پس از جدایی از شما درباره این آیه به فکر فرورفته‌ام «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»^۲. و بر آوردن مانند آن توانا نیستم.

ابن مقفع: این قرآن از سنخ و جنس کلام بشر نیست و من از زمانی که از شما جداشدم همواره در این عبارت به فکر فرورفته‌ام و نمی‌توانم مانند آن را بیاورم و آن آیه این است: «وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوتَ عَلَى الْجُودَى وَ قِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^۳.

برخی از دانشمندان از جمله «رافعی» بر این باورند که نسبت چنین ماجرای به ابن مقفع در تاریخ، دروغ است. چرا که ابن مقفع، داناترین افراد نسبت به غیر ممکن بودن معارضه با قرآن است.

از دیگر کسانی که به معارضه با قرآن برخاسته اند عبارتند از: «سجاع بنت حارث التمیمیه، طلحة بن خویلد الاسدی، الاسود الانسی، ابن الراوندی، ابوالطیب المتنبی و ابوالعلا معری» می‌باشند.

على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بغضهم لبغض ظهيرا» بگو: اگر آدمیان و پریان فراهم آیند تا مانند این قرآن را بیاورند هرگز مانند آن نیاورند هر چند بخی از آنان یار و هم پشت برخی باشند. اسراء/۸۸

^۱. عبدالله ابوشاکر دیصانی؛ او ساکن کوفه و منتسب به فرقه دیصانیه از مجوسیان بود. وی با هشام بن حکم مناظراتی داشته است. در باره او آمده است که وی در اواخر عمر نزد امام صادق (ع) آمد و شهادتین را گفت و از گذشته خویش توبه کرد.

^۲. اگر در آن دو- آسمان و زمین- خدایانی جز خدای یکتا می‌بود هر آینه هر دو تباه می‌شدند. انبیاء/۲۲

^۳. و گفته شد: ای زمین آب خود فروبر و ای آسمان [از باریدن] باز ایست و آب کاسته گشت- فرورفت- و کار گزارده شد و [کشتی] بر [کوه] جودی آرام گرفت، و گفته شد: گروه ستمکاران را لعنت باد. هود/۴۴

چکیده:

۱. مسیلمه پس از ایمان به پیامبر اسلام مرتد شد و ادعای نبوت کرد.
۲. ادیبی مانند جاحظ هموردی مسیلمه را قابل مقایسه با قرآن نمی‌داند.
۳. طلحة النمری گرچه از همراهان مسیلمه بود، اما بر دروغگویی او و راستگویی پیامبر شهادت داده است.
۴. رافعی نیز هموردی مسیلمه را مبتذل و پریشان معرفی می‌کند.
۵. برخی این گونه هموردی‌ها که در تاریخ آمده را بی اساس می‌دانند و آن را رد می‌کنند.
۶. ابن مقفع، از ادیبانی است که گویا به معارضه با قرآن برخاست.
۷. ابن مقفع و ادیبان دیگری چون ابی العوجا، عبدالملک و ابوشاکر دیصانی بر ناتوانی خود از آوردن مانند قرآن اذعان کردند.
۸. برخی چون رافعی هموردی نسبت داده شده به ابن مقفع را نمی‌پذیرند.

محورهای پژوهشی:

نقد و بررسی حوادث تاریخی که بر معارضه با قرآن دلالت دارد

منابع: کتابهای مربوط به اعجاز قرآن؛ رک: منابع کتابشناسی. منابع تاریخی: تاریخ طبری، دلائل النبوة از بیهقی و کتابهای سیره پیامبر.